الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر من خلال عملية التوافق النفسي والاجتماعي.

أ:أمال عيد

-جامعة سعد دحلب-البليدة

ملخص المداخلة:

يتعلق مفهوم الهوية عادة بفهم الأفراد وتصوراتهم نحو ذواتهـــم والآخـــرين، ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من حدود مكانية وزمانية معينة بحيث يعمل التفاعـــل بـــين الذات والمجتمع على ربط العالمين الشخصي والجماعي لتشكيل الهوية.

بينما يشير علماء النفس الاجتماعي الى أن هذا التفاعل هو التوافـــق النفســـي والاجتماعي، وقد يختل هذا المنطق في حالات الغياب عن المواصفات المسبقة التي أعدّها المجتمع، ونقصد هنا الهجرة وكأحد أنواعها الأكثر إيلامـــا "اللجـــوء" والـــذي يضطر بسببه الفلسطينيون الى إعداد دورة حياة جديدة بعيدا عن الوطن الأم.

وقد سعينا من خلال هذا البحث الى تقديم دراسة نفســـية اجتماعيـــة ميدانيـــة تتناول الهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر لأنه في مثل هذه الحالات تتكون هوية هؤلاء بعيدا عن فضاء ها الطبيعي.

كلمات مفتاح: الهوية، اللجوء، التوافق النفسي والاجتماعي.

مقدمة:

إن موضوع اللاجئين الفلسطينيين من أكثر قضايا الخلاف بين الجانبين كونها مسألة مرتبطة بجوهر الصراع، ناهيك عن الآراء القوية التي ترى فـــي أن القضـــية الفلسطينية هي قضية لاجئين بحد ذاتها، فإذا طويت هذه القضية أو تم تجاوزها ضمن أية حلول تسوية فإن الصراع نفسه يكون انتهى عمليـــا، ولا يـــزال هـــذا الخـــلاف موضوعا خصبا تتسابق الدراسات لتناول جانب منه ولكن أغلب هذه الدراسات إن لم نقل كلها قد تطرقت إلى الأوضاع القانونية والسياسية للاجئـــين وأبـــرزت التقصـــير الدولي بحقهم من ناحية إيجاد حل لمشكلتهم والتكفل بحمايتهم.

والجدير بالذكر أن الأعمال المعنيـــة تناولـــت اللاجئـــين الفلســـطينيين فـــي مفاوضات السلام والاتفاقيات السياسية بيد أنها لم تتعرض إلى ما تعانيه هاته العينـــة من تمزق نفسي نتيجة الأبعاد من جهة وعدم القدرة على العودة من جهة أخرى، تسلم هذه الورقة بأن الفلسطينيين المقيمين في الشتات يمارسون ويدركون هويتهن اعتمـــادا على تشابه ظروف حياتهم في انعدام الأمن، وكذا الغربة وعدم القدرة على الرجوع الى الوطن، ولذا سوف نعمل على إيضاح مدى توافقهم بناءا على ما تم ذكره وبالاعتماد على مقياس التكيف العام لموسى جبريل.

1.إشكالية الدراسة:

تعد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من أصعب المشكلات الإنسانية في التاريخ الحديث وأصحابها هم الأكثر عددا والأطول معاناة بين لاجئ العالم، إذ أدت النكبة في العام 1948 إلى تهجير نصف الشعب الفلسطيني خارج دياره، حيث يرتكز في الدول العربية ودول العالم الأخرى ما يربو على 1109076 لاجئ فلسطيني، وتقدر وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأنروا عددهم ســـنة 2007 بـــــ 3.4 مليـــون، مسجلين لديها 40 % منهم يرتكزون في فلسطين والأردن، أما في لبنان وسوريا فتقدر نسبتهم بحوالي 10 % أما البقية موزعين على باقي البلدان. مع العلـــم أن ســـجلات الوكالة لا تشمل جميع اللاجئين وبصفة عامة يقدر عدد اللاجئين غير المسجلين لـــدى الأنروا بـــ 1.5 مليون سنة 1998.ويمكن توزيع اللاجئين حسب مـــا قدمـــه ســـعيد سلامة(2008) من سنة 1981 إلى 2005 حسب الجدول (01):

جدول رقم(01): يوضح تعداد اللاجئين الفلسطينيين خلال الفترة (1981–2005).

مكان الإقامة	1981	1990	1998	2005	النسبة %
الدول العربيـــة المجاورة	1897249	2197743	3124861	3877183	42.3
الدول العربيـــة ودول العالم	833504	1048425	890871	1109076	12.1

أما في الجزائر فقد بدأت فـــي منتصـــف الســـتينات أول مجموعـــات مـــن الفلسطينيين حاملي شهادات الثانوية العامة (التوجيهي) بالتوافد إلى الجزائر، لغـــرض العمل أو لأجل الدراسة في الجامعات الجزائرية ضمن إطار بعثة فلســـطين، حيـــث كانت الجزائر آنذاك بحاجة إلى كادرات مُعربة، حيث وصل عدد أبناء الجاليـــة مـــن الطلبة والمعلمين في الفترة الممتدة من عام 1965 إلى نهاية الثمانينات حوالي 7000 معلم و500 طالب.

ويمكننا أن نقول أن حجم الجالية حاليا وبعد اتفاق أوسلو وصل تقريبـــا إلـــى 4000 موزعين كالتالي: طلبة 1900، أطباء 36، حقوقين 26، معلمين 417 (300 متقاعد و117 عامل) وأبناؤهم 1500، 200 مهن حرة (تجار، مســـتثمرين، عمـــال زراعيين)، مهندسين 47. **(http.WWW.aljalia.org)**

هذه الأعداد الهائلة من اللاجئين والتي لا يخلو مكان واحد في العـــالم مـــنهم وصفهم أول رئيس للوزراء الصهاينة بقوله «أولئك الذين يتمتعون بأعلى مستوى من البقاء والتكيف، سيتدبرون أمورهم عن طريق خيار طبيعي أما البـــاقون فسيســـحقون وسيموت قسم منهم، وسيتحول معظمهم إلى أشـــباه بشـــر وإلـــى حثالـــة المجتمـــع وسينظمون إلى أكثر الطبقات فقرا في الدول العربية» مروان بحيـــري(1982، ص 19).

كما يصف سمير أمين(1978) اللاجئين الفلسطينيين بأنهم يعيشـــون خـــارج الواقع، حيث لم يكن هناك فلسطين، وكان هناك واقع لم يكتف بتمزيق الوحدة السياسية الجغرافية بل جر معه في كل بلد مضيف ظروف فعلت فعلتها في تكثيف الرواســـب في نفس الفرد الفلسطيني، فلا هو بالمواطن الذي يتمتع بحقوق المواطنة الكاملة فـــي الدول العربية ولا هو بالأجنبي الذي له وضع قانوني محدد والذي له دولـــة تحميـــه

وترعى شؤونه أينما حل. هذا المنفـــى وحجـــم المعانـــاة يقـــول عنـــه افـــرت بـــن زائيف(2005)أنه يُضّخم حجم الذكريات (Exlarged Memories)، حيث استطاع الفلسطينيون أن يحافظوا على هويتهم بأنهم حملوا خريطة داخليـــة تضـــم مخططـــا إجماليا لما يوجد في فلسطين، وفي المقابل فان الوضعية التي تسمى لجوء هي وضعية ضاغطة فانه على حد قول انا فاسكيس(1978)عادة ما يشعر اللاجئ وهو بعيد عن وطنه بالغربة وبالوحدة وبالبعد عن الأهل، وبعدم القدرة على الاندماج في المجتمـــع المضيف أو ممارسة الحياة الطبيعية فيه، وعادة ما يشعر اللاجئون بإحســـاس فقـــدان الأمل بالعودة إلى ديارهم، أو حتى في رؤية أهلهم الذين بقوا في ديارهم ولئن كـــان الفرد على غرار اللاجئيين لا يقف عادة أمام ما يواجهه من مســـتجدات، إذن فمـــن المألوف أن يلجأ اللاجئ حسب ذات المصدر(1978)إلى حيل واستراتيجيات دفاعية تُمكّنه من التصدي للصعوبات التي يتعرض لها خاصة أنه مطالب بالمشـــاركة فـــي دورة إعداد مهني ومادي واجتماعي، والحصول على قـــدر مـــن التوافـــق النفســـي والاجتماعي الذي يحفظ بموجبه على هويته ويمكنه بالمقابل من الاستجابة للمواقف الجديدة.

وفي هذا الإطار، يشير أنور سعدي وعليان وادي(**2004، ص 16)** الى **أن** روسنهان وسليجمان (Rosenhan et seligman,1995)– نقلا عن هـــولمز وراه (Holmes et Rahe) – كانا أول من قام بقياس تغيرات ضغوط أحداث الحياة من حيث علاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي، حيث قاما بإعداد مقياس أطلقا عليه مقياس تقدير إعادة التوافق النفسي الاجتماعي (SRRS) ويعتمد هذا المقياس على قيم مختلفـــة قررتها عينات كبيرة أكثر من 5000 حالة من وقائع أحداث الحياة وقد بلغت القائمـــة 43 حدثا ضاغطا موزعين على سبعة مجالات، يأخذ فيها البعد عن الوطن أو تغيـــر محل الإقامة المرتبة 31 بدرجة تقدر بـــ 20.

وفي سياق ما تم الحديث عنه سنلقي الضوء علـــى دراســـة لأميـــرة حســـن (2005)، حول الضغوط النفسية التي يتعرض لها اللاجئون الأرتريون في الخرطوم 2006 ، فقد وجدت أن معظمهم يعانون من ضغوط نفسية واجتماعية، تتمثـــل فـــي المحاور التالية (ضغوط أسرية اقتصادية– ضغوط عمل وحياة جارية– ضغوط سكن

وانفصال)، وجدت أن الضغوط لم تكن السبب الوحيد لسوء التوافق النفسي للاجـــئ، وذلك لعدة أسباب تم تلخيصها كما يلي:

– الازدواجية في الوثائق وما يترتب على ذلك من تناقض بـــين داخـــل الإنســـان وأسرته والمجتمع في الخارج، وما يحدثه هذا التناقض من ضرر نفسي.

– عدم الوعي الكافي بحقوق اللاجئ المنصوص عليها في البروتوكولات الدوليـــة والمحلية مما يضطر اللاجئ الأرتيري للبحث عن حقوقه عبر وسائل أخرى يترتب عليها ضرر نفسي.

– طبيعة المجتمع السوداني الذي يُصنّف الناس على حسب أصـــولهم العرقيـــة أو أوطانهم، وما يترتب على ذلك من ضياع فرص قد يحققها اللاجئ، إذا لم تكن تلك المعايير موجودة.

– قضية زواج الآرتيرية من سوداني وما يترتب على ذلك من انفصال أو مشـــاكل وفق البيانات والإحصاءات المرصودة. (htt://www.nhanet.com).

والهُويّة على غرار باقي الهيئات النفسية، قد تتعرض لأزمات و صـــراعات بفعل العوامل الذاتية أو المحيطية(كما في اللجوء)، لاسيما في بعدها الاجتماعي الثقافي بفعل ما هو سائد حاليا من تغير اجتماعي وعدم استقرار في العلاقات بين الجماعات، التي يطغى على علاقاتها طابع الصراع والسيطرة وما تتسبب فيـــه مـــن تصـــنيفات اجتماعية نمطية تخل بشعور الانتماء لدى الفرد. ويسعى الفرد لتجاوز هذه الصراعات وحلها بتوظيـــف أساليب واستراتيجيات متنوعة حسب طبيعة الأزمة والظروف التي يعايشها، خاصة وأن المواطن الفلسطيني بالتبني حسب محمد عبد الهادي(1996، ص 106) لم يعامل إلا كمشبوه ولم يكن مواطنا في أغلب الحالات من أي درجـــة، فـــلا الدول التي استضافته مستعدة لذلك، حيث ربطت مشاريع توطين الفلســـطينيين علـــى أرضها بما قد يحققه ذلك من مكسب لها كدول، فمثلا المزودين بوثيقة سفر مصرية لا يستطيعون الخروج والدخول من البلاد إلا بإذن خاص، إن تفكيك الهُويّة في مثل هذه الحالات ، يكشف عن ثلاث مستويات :

– مستوى أول يتعلق بمكانة كل فرد في روابطه وعلاقاته بعدة سجلات، منها مـــا هو مرتبط بعلاقاته الأسرية وجنسه ومعاييره الاجتماعية وثقافتـــه، والتـــي تحـــدد أساليب تقمصه، منها الهُويّة الجنسية والجسدية، والهُويّة الاجتماعية والعرقية.

– مستوى ثاني خاص بالأدوار والمكانة الاجتماعية المسندة للفرد، وهو ناتج عـــن استدخال المعايير والقيم المتعلقة بالتطبيع الاجتماعي (modelage social).

– مستوى ثالث يتعلق بالانتماء الإيديولوجي واعتقادات الفرد.

إن الهُويّة تؤدي حسب كـــاميلري (Camilleri , 1989) وظـــائف ثلاثـــة أساسية أولها الوظيفة المعنوية (ontologique) بكونها وحدة دلالة، مثل الثقافـــة، فهي "عمليـــة إنتاج معنى للذات لدى الفرد وتجعله يحافـــظ على معرفتـــه عن نفسه، والتي يؤدي انعدامها أو انقطاعها إلى حدوث أزمات" ، وثانيها الوظيفة البرغماتية أو الأدائية للهوية (pragmatique) لكونها تسعى إلى تحقيق تكيف الفرد مع محيطه، فالهُويّة لا تتبني بصفة أحادية بل بمراعاة الواقع الذي يستقي منه الفرد أكبر قسط من المواد المكونة لأناه، فيمكن لهذا المحيط بتناقضاته أن يهدد وحدة الأنا؛ لذا ينبغي أن يكون بناء دلالة الهُويّة في تناغم مع المحيط عن طريـــق التفـــاوض معـــه، وثالثهـــا الوظيفية القيمية والتي تتمثل كون الفرد يهتم بأن يسند لنفســـه خصائص وسيّر ذات قيمة إيجابية بناء على أناه المثالي، بحيث يسعى أثناء عمليات التفاوض مـــع الوســـط الذي يعيش فيه، لتكوين هوية مرغوب فيها وذات قيمة.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة تحت الإشكالية التالية:

إذا كان الفرد ملزما بمعالجة مستمرة لمختلف مكونات هويته ضـــمن ســـياق ديناميكي جدلي، فكيف يتم ذلك لدى اللاجئ الفلسطيني الذي يسعى في ظل هذا أيضا الى التوافق النفسي والاجتماعي؟.

2. فرضية الدراسة:

– يحافظ اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر على توافقهم النفسي والاجتمـــاعي مـــن خلال الحفاظ على هويتهم.

3.تحديد المفاهيم:

قبل الشروع في تحليل النتائج لابد من العروج على أهم المفاهيم التي تم تداولها فـــي هذه الدراسة.

1.3.الهوية: لفظ الهُويّة (identité)، كما يعرفها معجم (Le Robert)، مشتق من اللفظ اللاتيني (identitas) والذي يدل على حالة الشيء كما هو نفسه، ومرادفاتـــه: تشابه (similitude)، وحدة (unité)، ديمومة (permanence).

والهُويّـــة الذاتيـــة حســـب مـــا عرفهـــا جيـــل وأخـــرون (Gil et al, 1995 ,p22)تعني إحساس الفرد وإدراكه بأنه نفسه ويظل نفسه عبر الزمن، فهـــي بذلك نظام "المشاعر والتصورات التي يتميز بها الفرد"، فهويتي هي ما أعرف وما أُعرِف به نفسي والتي بواســطتها أشــعر أننـــي معـــروف ومقبـــول مـــن طـــرف الآخرين.والهُويّة هي مجموعة المرجعيات المادية والذاتية والاجتماعية، وهي كـــذلك مجموعة سياقات الإدماج والحوصلة المعرفية. لكن لا يكون لها وجود بـــدون شـــيء يعطي لها معنى وتماسكا، وهذه الروح الداخلية هي الشعور بالهُويّة.

ويعرّفها تاب (Tap ,1985,p17) على أنها "نظام من تصـــورات الـــذات" وكذلك على أنها "نظام مشاعر إزاء الذات"، ولا يمكن اعتبارها كنتيجة سياق عقلاني محظ، ولا كمجموعة إسنادات ذات دلالة تدرك بصفة موضوعية، فصورة الذات هي بناء ذاتي متجدد دوما، يتأرجح بين المشاعر والانفعالات التي تختلف فـــي اتجاههـــا وطبيعتها. فالهُويّة هي الشيء الذي يحس الفرد بواسطته بأنه موجود كشـــخص فـــي كـــل أدواره ووظائفه، ويحس بنفسه مقبولا ومعترفا به من طرف الغير ومن طرف جماعته الثقافية.

2.3. التوافق النفسي الاجتماعي: يُعّرف يوسف مراد التوافق –نقلا عـــن الرمـــاح الشريف(2005، ص 16)– بأنه: «تغير في سلوك الفرد كي ينسجم مع غيـــره مـــن الأفراد خاصة بإتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية ولكن عنـــدما يواجـــه الفرد مشكلة خلقية أو يعاني صراعا نفسيا تقتضي معالجتها أي يغيـــر مـــن عاداتـــه واتجاهاته ليوائم الجماعة التي يعيش فيها».

في حين يعرفه عادل عبد الله محمد(2000، ص 159)– نقلا عن ريتشـــارد لازورس Lazarus (1969)– على أنه «جهود الشخص الناجحة من التعامل مـــع ظروف الحياة، في مواجهة مطالب البيئة والضغوط الداخلية، ويرى أنه يمكن النظـــر إلى التوافق على أنه هدف يمكن إنجازه بفشل أو نجاح».

ولأنه تم الاعتماد في هذا الدراسة على مقياس التكيف النفسي العام لموســـى جبريل فإننا نقصد إذاَ بالتوافق الدرجات التي يحصل عليها المجيب في هذا المقياس.

3.3. اللاجئ الفلسطيني:إن وضع تعريف خاص باللاجئين الفلســـطينيين مـــن قبـــل المجتمع الدولي يُعّبر عن مدى مسؤولية هذا المجتمع عن نكبة هذا الشعب وتحويلـــه

إلى لاجئين كما يعبر عن الموقف الأخلاقي–الإنساني تجاههم، وفيما يلي سوف نلقـــي الضوء على أهم التعاريف إلى صاغها المجتمع الدولي.

حسب ميثاق الأمم المتحدة لعام 1951: بشكل عام ينطبق مصـــطلح لاجـــئ حسب نزار الأخرس(2005، ص 65) على أي شخص مقيم خارج وطنـــه بســـبب خوف مبرر من التعرض للاضطهاد لأسباب العرق والدين والجنسية والعضوية فـــي مجموعة معينة أو رأي سياسي وغير قادر أو غير راغب بسبب هـــذا الخـــوف لـــن يستفيد من حماية هذا البلد له أو لا يملك الجنسية وكونه خارج بلد إقامته لا يستطيع أو بسبب الخوف لا يرغب في العودة إلى وطنه.

أما اللاجئون الفلسطينيون المسجلون مع وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشـــغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأنروا) فقد تم استثناؤهم قانونيا من تعريف المؤتمر، وتنص الفقرة أ .د من هذا الميثاق كما يوردها إبراهيم الجندي (2001، ص 08) على ما يلي "عدم جواز تطبيق هذا الميثاق على الأشخاص الذين يتلقـــون فـــي الوقت الحاضر حماية ومعونة من أجهزة ووكالات الأمم المتحدة عبر المفوضية العليا اللاجئين".

حسب وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا): يذكر سلمان أبـــو ســـتة(2001، ص 20) إن اللاجئ الفلسطيني هو الشخص الذي كان مكان إقامته العادية في فلسطين لمدة لا تقل عن عامين سابقين لنشوب النزاع العربي–الإسرائيلي عام 1948 وهو الشخص الذي فقد جراء ذلك النزاع بيته وسبل معيشته، وأصبح لاجئا ومســـجلا لديها في أحد الأقطار التي تمارس فيها الوكالة عملها.

وقد تم توسيع هذا التعريف لاحقا ليشمل أبناء وأحفاد اللاجئين حيث يستفيدون من خدمات الوكالة المقدمة شريطة أن يكونوا مسجلين لديها ويقطنون فـــي منـــاطق عملها.

إن التعاريف السابقة لن تستطيع التعبير عن مفهوم شامل للاجـــئ الفلســـطيني، إمـــا لأسباب إقليمية أو سياسية أو فنية إجرائية، ولتحقيق الدقة المطلوبة سوف نجتهد عبر تصور عام وقراءة عميقة للتعريفات الدولية والإقليمية في إضافة بعض المجموعـــات من اللاجئين والتي لم تمكن التعريفات السابقة من الإشارة إليهم وهم:

– اللاجئون الفلسطينيون نتيجة حرب 1948 وأصبحوا في أماكن لا تقع ضمن دائرة عمل الأنروا كما في مصر وشمال إفريقيا ومنطقة الخليج.

– النازحون الفلسطينيون داخليا، الذين بقوا في المساحة التي أصبحت إسرائيل وكانوا أساسا تحت مسؤولية الأنروا، ولكنهم استثنوا لاحقا على افتراض أن إسرائيل تعـــالج وضعهم.

–من أطلق عليهم (القادمين المتأخرين)، أي أولئك الذين غادروا الأراضـــي المحتلـــة بغرض الدراسة أو العمل أو الزيارة ... وانتهت تصاريح الزيارة التي رخصت لهـــم ومنعتهم إسرائيل من العودة.

4. الإجراءات المنهجية:

1.4.المنهج المتبع: استخدم المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتماشـــى وخصوصـــيات الدراسة التي تبحث في كيفية الحفاظ على التوافق عند اللاجئـــين الفلســـطينيين فـــي الجزائر من خلال الهوية.

2.4. مجالات الدراسة: تم تحديد مجالات الدراسة في:

– المجال المكاني: أجريت هذه الدراسة في كل من منطقة البليدة والجزائر العاصـــمة حيث تم التنقل إلى أفراد العينة المقيمين في المنطقتين السابقتين بناء على معلومـــات وعناوين تم الحصول عليها من مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلســـطين الواقـــع فـــي الجزائر العاصمة، والجدير بالذكر أن ولاية العاصمة والبليدة والولايات المجاورة هي أكثر الولايات استقطابا للفلسطينيين، حيث تقيم الأغلبية منهم في هذه الولايات.

– المجال الزماني: تمت الدراسة على فترتين هما:

أ– الفترة الأولى: ما بين 12 و 2008/04/14 خلال هذه الفترة تم التوجه إلى مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالجزائر العاصمة للحصول على قائمة الفلســـطينيين المقيمين بالبليدة والعاصمة ومن ثمة انتقاء العينة التي تتلاءم مع موضوع الدراســـة، ثم بعد الإطلاع على كل المعلومات والحصول على جميع العناوين ثم انتقـــاء أفـــراد العينة بالتعاون مع رئيس مكتب الجبهة الشعبية بصفته أحد المدافعين عن حق العـــودة ومن بين أقدم المقيمين في الجزائر وبالتالي إحاطته التامة بكل ظروف الفلسطينيين في الجزائر.

ب- الفترة الثانية: بعد اختيار العينة بما يتوافق مع موضوع الدراسة تـــم التحضـــير لإجراء لقاءات يتم الإجابة فيها على بنود اختبـــار التوافـــق النفســـي والاجتمـــاعي، بالإضافة إلى استمارة المعلومات المعدة خصيصا للحصول علـــى معلومـــات تخـــدم الدراسة.

3.4. عينة الدراسة:

يرى إحسان محمد حسن(1998، ص 09) أن العينة هي مجموعة الأشخاص الذين يكوّنون العينة والتي يهتم الباحث بدراستها وهي ذلك الجزء من المجتمع الـــذي يجرى اختياره وفق قواعد علمية بحيث تمثل المجتمع تمثلا صحيحا.

وفي موضوعنا هذا تم اختيار العينة بطريقة قصدية وفي هذه الحالـــة يقـــوم الباحث باختيار العينة حسب ما أشار إليه عبد الحفيظ مقدم(1993، ص 65) لمعايير معينة ويختار الباحث هذه الحالة عندما يكون في حاجة إلى معلومات معينة، عند ذلك يختار عينة بما يحقق له غرضه.

أما في هذه الدراسة فهي تتكون من 10 لاجئين فلسطينيين (4 إناث و6 ذكور) متوسط سنهم 35.5 سنة، وسوف يتم عرض أهم خصائصها في الجدول التالي:

جدول رقم (02): يوضّح خصائص عينة الدراسة.

رقم الحالة	الجنس	السن	مكان الميلاد	سبب الإقامة	نوع الوثائق
1	ذكر	60	فلسطين	عمل	مصرية
2	أنثى	28	فلسطين	عمل	مصرية
3	أنثى	32	الكويت	دراسة	جواز سفر لبناني
4	أنثى	37	فلسطين	دراسة	جواز سفر لبناني
5	ذكر	25	الأردن	دراسة	بطاقة أردنية
6	ذكر	29	غزة	عمل	مصرية
7	ذكر	27	الجزائر	عمل	جزائرية
8	ذكر	30	فلسطين	دراسة	فلسطينية
9	ذكر	65	الأردن	عمل	بطاقة أردنية
10	أنثى	22	الجزائر	دراسة	جزائرية

4.4.أدوات البحث: تم الاعتماد في هذا البحث على مقياس التوافق العـــام لصـــاحبه موسى جبريل إضافة الى استمارة معلومات تم إعدادها خصيصا لهذا الغرض.

-مقياس التكيف النفسي الاجتماعي: في دراسة قام بها موسى جبريـــل (1996، ص 365) تناول فيها العلاقة بين مركز الضبط والتحصيل الدراسي والتكيف النفسي لدى المراهقين، طوّر من خلالها مقياس التكيف النفسي العام، وقد تمت صـــياغة فقـــرات الأداة التي تظهر من خلال المواقف الحياتيـــة مـــدى تكيـــف الإنســـان مـــع ذاتـــه ومحيطه.وشملت مجموعة من الأبعاد (البعد الشخصي والبعد الانفعالي والبعد الأسري والبعد الاجتماعي).وقد تم التأكد من صدق الاختيار عبر إتباع أسلوبين:

- تم استخراج الصدق المنطقي بعرضه على عشرة محكمين من المختصـــين فـــي التربية وعلم النفس، وتم اعتماد معيار اتفاق 8 محكمـــين علـــى صـــلاحية الفقـــرة ووضوحها حيث تألف الاختبار في صورته النهائية من أربعين فقرة وتمثل كل بعـــد من أبعاد التكيف فيه 10 فقرات وبالتالي فإن الدرجات تتراوح بين 40 ← 200.

- تم الحصول على صدق الاختبار عن طريق مقارنـــة الأداء علـــى مقيـــاس فـــي مجموعتين متطرفتين في الخصائص، وبعد تطبيق المقياس على المجموعتين بين أن المقياس قادر على التمييز بينهما، حيث كانت قيمة ت بدرجات حرية (57) تســـاوي 5.7 وهذه القيمة دالة عند مستوى $\alpha = 0.01$.

وبخصوص ثبات الاختبار، فقد تم استخراج الثبات بطريقة إعادة الاختبار على عينـــة مكونة من أربعين طالبا وطالبة من طلبة الصفين العاشر والثاني ثانوي بالتساوي وفقا لمتغير الجنس والصف وكانت الفترة الزمنية الفاصلة بين التطبيق الأول والثاني (12 يوما) وبلغ معامل الثبات للتكيف النفسي العام أو الدرجة الكلية على الاختبار 0.94.

- طريقة تصحيح المقياس: يتم تنقيط المقياس وفق سلم مندرج من 1-5- إذ تمـــنح نقطة إذا كانت الإجابة بلا ونقطتين إذا كانت الإجابة بـــ قليلا، وهـــو تنقـــيط معتمـــد حسب نوع الفقرة إذا كانت سلبية أو إيجابية وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (03): أبعاد مقياس التكيف النفسي العام.

الأبعاد	الجانب الشخصي		الجانب الانفعالي		الجانب الأسري		الجانب لاجتماعي	
رقم الفقرة	+	−	+	−	+	−	+	−
1	1	5	6	2	4	7	8	4
2	9	13	14	10	11	15	16	12
3	17	21	22	18	19	23	24	20
4	25	29	3	26	27	31	32	28
5	34	37	38	34	35	39	40	36

وبناء على ما سبق تم تحديد مستويين للتوافق هما:

40 ← 120 توافق ضعيف، و121 ← 200 توافق قوي.

5. تحليل ومناقشة النتائج:

من أجل دراسة التوافق النفسي الاجتماعي عند اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر مـــن خلال هويتهم تم تطبيق مقياس التكيف العام لموسى جبريل، وقد أظهرت نتائج أفـــراد عينة البحث قد تحصلوا كلهم على درجات عليا في مقياس التوافق وهذا حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (04): يوضح نتائج عينة البحث في مقياس التوافق العام.

الحالات / نتائج	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
اختبـــــــار التكيـــــــف النفسي العام	159	196	151	170	141	146	155	161	130	158

يظهر الجدول(04) أن أفراد العينة يتميزون بدرجة عالية من التوافق النفسي والاجتماعي و يمكن أن نستشف من خلال هته النتـــائج أن القـــدرة التـــي أظهرهـــا اللاجئون على التوافق تعود لقدرتهم وحفاظهم على هوية الذاكرة الجماعيـــة والتـــي تتناقل من جيل النكبة الى باقي الأجيال ومن من مناطق الشتات وفي ذلك يوضح عبد الرحمان بسيسو(2005) أن الهوية الفلسطينية المعاصرة المؤسَّسة على ثقافة إنسانية عريقة، والطالعة من معاناة القهر ومساعي التهميش والطمس والإلغاء، والتي أعادت إنتاج نفسها عبر مسيرة نضالٍ وطنيٍّ تحرُّريٍّ شاق وعنيـــد، قـــد حصَّـــنت نفســـها،

باستنهاض ما اختزنته جذورها الثقافية العريقة، من السقوط فيما نهضت لحماية نفسها منه ومقاومته، ولذلك فهي تتأسس على عمق ثقافيٍّ منفتحٍ على ثلاث جهـــات هـــي: التاريخ الفلسطيني الموغل في القدم؛ معطيات الحاضر الموسوم بالنضال التَّحـــرُّري؛ وممكنات المستقبل المفتوح على استعادة القدرة على المشاركة في صـــنع الحضـــارة الإنسانية، وذلك في تواشجٍ متصل مع نهوض هذه الهوية، أولاً وقبل كلِّ شيء، على رؤى مستنيرة، وعلى مبادئ إنسانية متفتحة، وعلى قيمٍ ومعـــايير تحتـــرم الإنســـان، وتحمي حقوقه وحرياته جميعاً. و ترتكز هذه التجربة على إدخال كل الخبرات عبـــر مراحل الحياة و دون قطيعة. ويعتمد هذا الإحساس على مؤشـــرات منهـــا ديمومـــة الجسد، الذاكرة و تعاقب التجارب. الجديد في هذا التناول انه ســـلط الضـــوء علـــى السيرورات القاعدية العميقة بين المنظومات المولـــدة للثقافـــة و الهويـــات الفرديـــة والجماعية مبرزة ان كل ثقافة هي وعاء التصورات وكذا نماذج الهوية المختلفة.

وفي هذا السياق، نتطرق الى دراسة مقارنة قامـــت بهـــا صـــابرين الـــزبن (2008) تمركزت حول الكشف عن هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم لاحظت مـــن خلالها أن ذاكرة النكبة عند أبناء الجيل الثاني حاضرة تلقائيا بالتعبير عن هوية اللجوء وكان أفراد عينتها من الجيل الثاني أكثر التصاقا بالماضي والذاكرة والتي تبث فـــيهم رائحة التوافق لتجعلهم كل مرة يعقدون العزم على إعادة هيكلة حياتهم بما يندرج مع وضعيتهم الجديدة.

ان التوافق الذي اظهره اللجؤون مع الوسط الاجتماعي الجزائـــري- الـــذي تتشابك فيه العلاقات وتنشأ فيه عمليات التفاعل المســـتمر بصـــورها المختلفـــة مـــن (تناسب، صراع، توافق، تعاون)- جاء نتيجة لما سبق ونتيجة لجهد ســـيكولوجي، ان هذا كله يقتضي تفاعلا من الفرد وتكيفا مستمرا مع الآخرين والمحيط الذي يعـــيش فيه لتحقيق التوازن.

فبناء الهُويّة يتم في إطار الاستجابة لانشغالات ثلاثة هي إضفاء معنى ودلالة للذات تكون حاملة لقيمة وتقدير إيجابيين وتضمن التكيف مع الواقع وربط العلاقـــات مع الغير. غير أن تحقيق هذه الانشغالات قد تعرقله بعض العوامل التي تعترض حياة وبيئة الفرد مما يجعله يوظف آليات من شأنها أن تعيد تحقيق التوازن والتكيف. كمـــا يستحيل تصور الهُويّة حسب ديفرو(Devreux ; 1969 :113) بمعزل عـــن مفهـــوم

الزمن، فالقول أن الشيء مطابق لذاته، معناه مقارنته في زمنـــين مختلفـــين، فمبـــدأ التفردية يعني عدم تغيّر الموضوع رغم تغيّر الزمن. وترتكز هذه التجربة على إدخال كل الخبرات عبر مراحل الحياة ودون قطيعة. ويعتمد هذا الإحساس على مؤشـــرات منها ديمومة الجسد، الذاكرة وتعاقب التجارب. فكلما أدى العمل النفسي إلى حوصـــلة وإدماج مختلف التجارب بإضفاء دلالة عليها استمر الشعور بالهُويّة، أمـــا إن حـــدثت قطيعة، فإن ذلك سيولّد شعورا بأزمة هوية. إذ لنتمكن من الشعور باستمراريتنا وعدم تغيرنا في الزمـــن، يجـــب أن نتمكن من تنظيـــم الأحداث التي تقع لنا فـــي سلســـلة سببية، وهذه السلسلة تعد تصميما زمنيا أحادي الاتجاه، منطقيا وغير قابل للتعـــديل، وقد دعم افرت بن زائيف(2005) هذا الرأي في دراسة عن اللاجئـــين الفلســـطينيين أوضحت أن الزمن لم يتغير(زمن النكبة) وظل حاضرا وتم توارثه عبر الأجيال وفي دول الشتات وهذا ما جعل الهوية الفلسطينية ذات صفة مميزة حفظتها من كل تغييـــر وتناقلها الأجيال بامتياز ليحافظوا بموجبها على توافقهم عبـــر دول الشـــتات، إلا أن اللجوء إلى أحد هذه الأساليب أو عدد منها لا يتم بصـــفة نمطيـــة، وإنمـــا يخضـــع لاعتبارات ذاتية ولعوامل عديدة تجعل سلوك الفرد في الوضعيات الصـــراعية شـــبيه بمعادلة بعدة متغيرات، يتمتع الفرد لحلها بهامش كبير من المبادرة.

لذلك، فاستراتيجيات الهُويّة التي قد يعتمدها اللاجئون من اجل الوصول الـــى التوافق في وضعية اللجوء قد تمر بعراقيل إلا أنها تتوج في الأخير بالنجاح لذا فقـــد تحققت الفرضية التي تنص على أن اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر يحافظون على توافقهم النفسي والاجتماعي من خلال الحفاظ على هويتهم. وفي الختام فإن نتائج هذا البحث تجد حدودها في مستوى مجال الدراسة سواء على مستوى مجموعة البحث أو على مستوى المنطقة الجغرافية.

الخلاصة:

إن الهُويّة لا تعد سياقا آليا لاستدخال عناصر اجتماعية، بل تعرّف على أنهـــا سياق نشط و صراعي يبين أنه إذا كانت القيم والمعايير الاجتماعية جزء مـــن نظـــام تفاعلي معقد، فإن أسلوب الفرد في التصرف إزاءها يعد عاملا أساسيا لإدراج التوافق كعنصر رئيس فيها. واللجوء على اعتباره من التجارب النفسية والاجتماعية المؤلمـــة ليس إلا مظهر من الـــذات ناتـــج عن إدراك الأفراد لانتمائهم الاجتمـــاعي، ويُعبـــر عنها من خلال الدلالـــــة العاطفيـــة لهذا الانتـــماء.

إن الهُويّة لدى اللاجئين ناتجة عن سياق إسناد وإدماج وتموضع الفـــرد فـــي محيطه. وتُترجم عن طريق الانتماء والمشاركة في الجماعـــــة وفـــي المؤسســـات الاجتماعية وتظهر من خلال ممارسة الأدوار والمكانة؛ فهي يمكن أن تسند من طرف الغير أو يطالـــب بها. والهُويّة في الشتات الفلسطيني تُبنـــى بواســـطة مرجعيـــات مرتبطة بتجارب يتقاسمها الفرد مع غيره من أفراد الجماعة التي أتى منها أين تعمل الذاكرة الجماعية على حفظ الهوية عبر تقادم الأجيال، وتاريخيـــاً تميّـــز اللاجئـــون الفلسطينيون عموما بارتباطهم الوثيق بمحلية المكان، والتوافق الذي أظهره اللاجئـــون الفلسطينيون في الجزائر ما هو إلا ترجمة فعلية لما تم الحديث عنه.

ان البعد الحقيقي لصورة الذات تؤدي وظيفة التكيف التي تسمح للشـــخص ان يحس ايجابيا بوجوده في وسط مع الاخرين الذين يكون بالضرورة في مواجهتهم وهذا ماطلق عليه كـــاميليري (Camilleri , 1989) الوظيفـــة البرغماتيـــة أو الأدائيـــة (pragmatique) للهوية لكونها تسعى إلى تحقيق تكيف الفرد مع محيطه، فالهُويّة لا تنبني بصفة أحادية بل بمراعاة الواقع الذي يستقي منه الفرد أكبر قسط مـــن المـــواد المكونة لأناه، فيمكن لهذا المحيط بتناقضاته أن يهدد وحدة الأنا؛ لذا ينبغي أن يكـــون بناء دلالة الهُويّة في تناغم مع المحيط عن طريق التفاوض معه.

قائمة المراجع:

- إبراهيم الجندي، **اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين**، عمان، دار الشـــروق، ط1، 2001.

-إحسان محمد حسن، **الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1981.

-افرست بن زئيف، **النكهة والرائحة في طقوس العودة الفلسطينية**، دراسات معهد ترومـــان، اسرائيل،2002 .

- أنا فاسكيس، **سيكولوجية العمال المهاجرين**، رسالة اليونسكو، المهـــاجرون بـــين ثقـــافتين، سبتمبر 1985.

-أنور سعدي عليان وادي، التوافق النفسي والاجتماعي لدى أبناء فلســـطين المحـــررين مـــن السجون الإسرائيلية لمدينة غزة، جامعة عين شمس، مصر، 2004

-أنور الرماح الشريف، التوافق النفسي لمدراء المدارس، وأثره على تسيير شؤون مدارســـهم (دراسة تحليلية ميدانية لمدراء مدارس مرحلة التعليم الأساسي بالجماهيرية الليبيـــة)، **رســـالة ماجستير في علوم التربية**، الجزائر، 2005.

-سمير أمين، **الأمة العربية (القومية والصراع)**، ترجمة: كميل قيصر داغر، بيروت، دار ابن رشد للطباعة والنشر، 1978.

-سعيد سلامنة، **اللاجئون الفلسطينيون، قرارات ومعاهدات واتفاقيات**، دائرة شؤون اللاجئين، رام الله، 2008.

-سلمان أبو ستة، **قضية اللاجئين الفلسطينيين، آفاق أعمال العودة**، مصر، مركـــز القـــاهرة للدراسات حقوق الإنسان، ط1، 2000.

-صابرين الزبن، **هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحلية**، بحث مقارن بين الجيل الثـــاني والثالث للنكبة، مركز بديل للبحوث، فلسطين، 2007.

-عادل عبد الله محمد، الصحة النفسية، الهويـــة والاغتـــراب، القـــاهرة، دار الرشـــاد، ط1، 2001.

-عبد الرحمان بسيسو، **الثقافة وحركة الدفاع عن الهويـــة، مشـــروع الخطـــة الإســـتراتيجية للثقافة الوطنية الفلسطينية**، وزارة الثقافة فلسطين، 2005.

-عادل عبد الله محمد، **الصحة النفسية، الهويـــة والاغتـــراب**، القـــاهرة، دار الرشـــاد، ط1، 2001.

-عبد الحفيظ مقدم، **الإحصاء والقياس النفسي والتربـــوي**، الجزائـــر، ديـــوان المطبوعـــات الجامعية، 1993.

-موسى جبريل، العلاقة بين مركز الضبط وكل من التحصيل الدراسي والتكيف، **دراسات فـــي العلوم التربوية**، العدد 2، 1996، الأردن. -مروان بحيـــري، الحلـــف الأطلســـي والشـــرق الأوسط، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1982.

-نزار عبد الله الأخرس، قضية اللاجئين الفلسطينيين بين إشكالية العودة ومعطيـــات الواقـــع، **رسالة ماجستير في العلاقات الدولية**، جامعة العالم الأمريكية، لبنان، 2005.

المراجع باللغة الأجنبية:

- DEVREUX (G.) ; **Ethnopsychanalyse_complémentaire**, Paris, Flammarion, 1972.

-CAMILLERI (C.) et al ; **Chocs de cultures : concepts et enjeux pratiques de l'interculturel**, Paris, L'Harmattan, 1989.

- TAP (P.) ; **Masculin et féminin chez l'enfant**, Toulouse, Privat, 1985.

-GIL (F.), TAP(P.), SINDZINGRE (N.) ; Identité, In. **Encylopédia Universalis**, 1995, CD Rom, 3p.

مواقع الانترنيت:

w.w.w.pna.net /1موقع السلطة الفلسطينية

http://w.w.w.ahewar.org

http://w.w.w.annabaa.org/

http://w.w.w.nhanet.com/